المرتكزات الابستومولوجية لمفهوم الحرب على الإرهاب

بقلم
د/ عبد العظيم بن صغير(*)

ملخص

لقد تم استخدام مفهوم الحرب على الإرهاب بطرق غير صحيحة ولم تخضع ظاهرة للضغط المعرفي والمعضلات البحثية والإشكاليات الأمبريقية مثلما تعرضت له ظاهرة الإرهاب. من حيث اختلاف الدلالات والمفاهيم والعبارات التي توصف الظاهرة، وهذا ما فتح الباب أمام السياسيين والقادة باستخدام المصطلح بأشكال تختلف عن تصور الباحث المتخصص في إطار النماذج المعرفية السائدة، فالاستخدام غير الصحيح لمفهوم الإرهاب أدى إلى مأزق على مستوى البناء المعرفي، بحيث أصبح المفهوم السائد غير قادر على تفسير حالات اجتماعية راهنة، أو أنه غير قادر على التكيف مع تحولات سياسية وأمنية واجتماعية معينة، أو أن المفهوم لا يقدم حلولا معرفية للمشكلات المرتبطة بالظاهرة.

الكلمات المفتاحية: الإرهاب- الحرب- المعرفة- السياسة.

مقدمة

يعتبر بناء المفهوم من أهم العناصر في النظرية السياسية، كونه أداة ذهنية يستخدمها الباحث من أجل تحليل وتفسير وفهم ظاهرة معينة.

وإذا اعتبرنا أن عملية البناء ألمفاهيمي من أهم المتطلبات لتحديد الإطار النظري للظاهرة المبحوثة، فإننا بحق أمام إشكاليات لغوية ومفهوميه واصطلاحية، وتناولات قاصرة لا تتسم بالملائمة.والموضوعية في إطار ظاهرة الإرهاب التي يتم تناولها في سياق العواطف المشحونة، والتأويلات المزدوجة، أو لعبة المصالح المتناقضة.

(*) أستاذ محاضر "أ"بقسم العلوم السياسية ـ كلية الحقوق والعلوم السياسية ـ جامعة بسكرة.

وفي تصوري لم تخضع ظاهرة للضغط المعرفي والمعضلات البحثية والإشكاليات الأمبريقية مثلما تعرضت له ظاهرة الإرهاب. من حيث اختلاف الدلالات والمفاهيم والعبارات المستخدمة في اللغة والتي يمكن أن تصف الظاهرة ، وهذا ما فتح الباب أمام السياسيين والقادة باستخدام المصطلح بأشكال تختلف عن تصور الباحث المتخصص في إطار النماذج المعرفية السائدة، فالاستخدام غير الصحيح لمفهوم الإرهاب أدى إلى مأزق على مستوى البناء المعرفي، بحيث أصبح المفهوم السائد غير قادر على تفسير حالات اجتماعية راهنة، أو أنه غير قادر على التكيف مع تحولات سياسية وأمنية واجتماعية معينة، أو أن المفهوم لا يقدم حلولا معرفية للمشكلات المرتبطة بالظاهرة.

وبالتالي ضرورة إعادة النظر في تحديد المفهوم الصحيح أو المتفق عليه معرفيا في إطار الجهود الأكاديمية التي تبذلها المراكز البحثية والمخابر العلمية المستقلة ، وقبل التطرق إلى تحديد مفهوم الحرب على الإرهاب بجدر بنا تحديد مصطلحي الحرب والإرهاب، ثم نقوم ببناء المفهوم المركب من المصطلحين ووضعه في سياق وروده وانتشاره.

أولا: مفهوم الحرب:

في البداية نقول إنه نادرا ما تكون للحروب أشياء نافعة، ولكن الأشياء الجيدة غالبا ما تأتي من الحروب لأن الحروب عادة ما تحدث تغييرات سياسية واجتماعية وثقافية تكون جيدة على الأقل لصالح أحد الأطراف وهو المنتصر عادة في الحرب، ولكن السؤال المطروح، هل أن حاجتنا للأمن المفقود تدفعنا بقوة نحو خوض الحرب؟ وهل أن الحرب هي الطريق لتحقيق الهدوء والاستقرار؟، وهل أن ثمن الحرية والعدالة والاستقلال هو الدماء والأشلاء؟.

يقول كلاوزفيتز(*): "الحرب هي امتداد للسياسة ولكن بوسائل مختلفة"، إن هذه المقولة مازالت تحتفظ بكثير من قيمتها وأهميتها إذ أن الحروب لا تتفجر إلا عندما يتم إحباط كل الجهود السياسية، لإيجاد الحلول بشأن القضايا المتنازع عليها وذات العلاقة الوثقى بالمصالح العليا للشعوب [1].

وحسب موسوعة علم السياسة فإن الحرب تعني نزاع مسلح بين طرفين أو أكثر يهدف كل طرف متورط فيها حماية حقوقه ومصالحه في مواجهة الطرف الآخر، وفرض واقع جديد. وتخوض غمارها جيوشها النظامية، لحل كل نزاع أخفقت المساعي الدبلوماسية في حله، إذ أن كل طرف يحاول فرض إراداته على الطرف الآخر وإخضاعه لسيطرته، أما الحرب في القانون الدولي العام ، لا تقوم إلا بين أشخاص هذا القانون (الدول). وتختلف عن تلك الحرب التي تقوم في

إطار السيادة الوطنية ، والتي يطلق عليها "الحرب الأهلية"، التي لا تخضع لقوانين وأنظمة غير أحكام القانون الجنائي الذي اندلعت فيها مثل الحرب "الطائفية العرقية"[2].

وعليه يمكن القول إن الحرب تستخدم عندما تكون فيه إرادتين متناقضتين ومصالح متضاربة بين طرفين أو أكثر، ويتم حسم هذا التناقض عن طريق استخدام القوة العسكرية والعنف ، بعد استنفاذ جميع طرق التسوية السلمية والجهود الدبلوماسية. بهذا المنطق: هل يمكن شن حرب على الإرهاب.؟ وقبل ذلك ماذا يعني الإرهاب؟ وهل هناك مفهوم واضح ومحدد ومتفق عليه يعرف ويصف الإرهاب؟.

ثانيا: مفهوم الإرهاب:

إن كلمة إرهاب مشتقة من فعل رهّب أي خوّف وروّع ، وهي تحمل معاني الفزع والهلع والخوف، أما أصل كلمة إرهاب في اللغة العربية تعود إلى معناها في اللغة اللاتينية (Terror)، ثم انتقلت إلى اللغات الأوروبية الأخرى، وأصلها في اللغة الفرنسية(Terrorisme) وقد استخدمت هذه الكلمة أثناء الثورة الفرنسية 1789. وهي جزء من الكلمة اللاتينية (Terrore) مضافا إليها (Isme) وأصله باللاتينية (Ismus) وهي تعني نظاما أو مذهبا[4].

وفي موسوعة لاروس تشير كلمة إرهاب إلى مجموعة أنواع العنف التي ترتكبها المجموعات الثورية، والإرهابي (Tirroriste) هو ذلك الشخص الذي يمارس الإرهاب فعلا[5].

أما في قاموس السياسة تعني كلمة إرهابي (Tirroriste) الشخص الذي يلجأ إلى العنف والرعب ليحقق أهدافه السياسية التي كثيرا ما تتضمن الإطاحة بالنظام القائم[6].

والإرهاب هو مصطلح لا يوجد اتفاق على معناه الدقيق حيث يختلف الأكاديميون والسياسيون في تعريفه، ولكنه بصفة عامة يستخدم لوصف أساليب تهدد الحياة الإنسانية.

ويعرف عالم الاجتماع (A.P Schmid). "هو استخدام أساليب تولّد الخوف والقلق، يقوم بها أفراد بإشراف مجموعات داخل الدولة، أو بإشراف الدولة نفسها وتكون أهداف العملية سياسية عادة، وتختلف عن الاغتيالات بكونها ليست موجهة إلى شخص معين، ويتم اختيار الأهداف لغرض إرسال إشارات إلى أكبر عدد من الناس والحكومات التي تمثلهم[7].

تعريف الإتحاد الأوروبي: " الإرهاب عبارة عن عمل عدواني متعمّد يقوم به أفراد أو جماعات ويكون موجه ضد دولة أو أكثر بغرض ممارسة الضغط على الحكومات بأن تغّير سياستها الدولية والداخلية"[8].

تعريف وزارة الدفاع الأمريكية: "هو لجوء متعمد إلى العنف بهدف زرع الخوف من أجل

إكراه السلطات العامة أو المجتمع بغرض تحقيق أهداف ذات طبيعة سياسية أو (دينية أو أيديولوجية)[9].

تعريف الخارجية الأمريكية: "الإرهاب هو عنف متعمّد بدافع سياسي موجه نحو أهداف غير محاربة وبواسطة عملاء سرّيين هدفهم بشكل عام هو التأثير على الرأي العام[10].

تعريف مكتب التحقيقات الفيدرالي (FBI): "هو لجوء غير مشروع للقوة والعنف الموجه ضد الأشخاص والممتلكات بفرض ترويع وإجبار السلطات العامة والسكان المدنيين، أو أي مكون من مكوناتهم على انتهاج أهداف ذات طبيعة سياسية واجتماعية "[11].

ويضيف بول بيار (Pole Piere) – وهو مساعد مدير سابق بوكالة المخابرات المركزية الأمريكية (CIA) في مكتب مكافحة الإرهاب – أربعة عناصر في تعريف العمل الإرهابي[12].

- عمل متعمد وليس نتيجة حالة دفاعية.
- عمل يلبي دوافع سياسية وليست إجرامية بغرض تعديل النظام القائم.
- عمل موّجه ضد مدنيين وليس ضد قوات محاربة.
- عمل من صنع مجموعات ثانوية هامشية في المجتمع وليس من صنع جيش نظامي.

ويتساءل باسكال بونيفاس معلقا على التعريف السابق لماذا تقلص الإرهاب إلى المجموعات الثانوية الهامشية فقط، ولكن عند ما تطلق صواريخ على متظاهرين وعندما تدمر منازل، يفترض أنها تأوي إرهابيين، لكنها تأوي أيضا عائلات وأفراد وأطفال عزل. ألا نكون على صواب عندما نصف ذلك بأنه عمل إرهابي . في إشارة إلى أعمال القتل التي ترتكبها إسرائيل ضد الفلسطينيين الذين تتهمهم بالإرهاب، وكذلك بعض الأعمال العسكرية التي تقوم بها القوات الأمريكية في العراق وأفغانستان[13].

وفي تعريف الموسوعة الحرة (ويكيبيديا) الإرهاب هو "أي عمل عدواني يستخدم العنف والقوة ضد المدنيين، ويهدف إلى إضعاف الروح المعنوية للعدو عن طريق إرهاب المدنيين بشتى الوسائل العنيفة ويتخذ الإرهاب أماكن متعددة بين العدو إلا ساحة المعركة التي يشرع فيها استخدام العنف، فنجد الإرهاب يستهدف الطائرات المدنية وما تتعرض له من اختطاف، والمدينة المكتظة بالسكان وما ينالها من تفجيرات واغتيالات، ويعرف كل من يبث الخوف والرعب في قلوب الآمنين بالإرهابي[14].

من خلال التعاريف السابقة وغيرها يتضح أن هناك اتفاق حاصل حول وصف الحالة التي

تنشأ عن العمل الإرهابي، والوسائل المستخدمة فيه. فبالنسبة للوسائل: فالإرهابي يستخدم كل طرق العنف والإكراه والقمع والقتل والتنكيل، ولا يتورع الإرهابي من أن يستخدم أي وسيلة تحقق أهدافه ودوافعه المعلنة والخفية، أما بالنسبة للحالة الناتجة عن العمل الإرهابي فهي خلق حالة من الهلع والرهبة في نفسية الآخر والشعور بالخوف والقلق وانعدام الأمن.

ولكن الاختلاف، حاصل حول من هو الإرهابي؟ أو من يقوم بالعمل الإرهابي؟؛ إن الإجابة على هذا السؤال أثقلت كاهل الأكاديميين والسياسيين، هل الإرهابي هو فرد بعينه؟ أو جماعة أو تنظيم أو فكرة أو دين أو دولة أو عقيدة أو أيديولوجيا؛ والأعمال الإرهابية توجه ضد من؟ هل توجه ضد جيش نظامي، أو ضد عصابة مسلحة، أو ضد مدنيين، أو ضد مواقع عسكرية، أو مصالح إستراتيجية.

ففي بدايات القرن العشرين كانت كلمة إرهابي تستخدم بصورة عامة لوصف الأشخاص أو الجهات التي لا تلتزم بقوانين الحرب أثناء نشوب صراع، مثل تجنب الاستهداف المتعمد لأهداف مدنية أو أشخاص مدنيين، وكان التعبير يستخدم أيضا لوصف المعارضين السياسيين لحكومة معينة، وكانت كلمة إرهابي لها معانى ايجابية حتى إن المعارض السياسي لمّا يقوم بالاغتيال السياسي يقول:"أنا إرهابي ولست بقاتل" لما تحمله كلمة إرهابي من دلالات ايجابية لمفهوم المعارضة السياسية(15).

وفي بدايات القرن الواحد والعشرين أصبح تنظيم القاعدة وفكر أسامة بن لادن يوصف بالإرهاب. في الوقت الذي نجد في العالم العربي والإسلامي عدد غير هين من المتعاطفين معه يرفضون وصفه بالإرهابي، ويصفونه بالمجاهد. كما أننا نجد أن الكثير من الأعمال التي تستهدف المدنيين تقوم بها دول كبرى، في حين تعامل إعلاميا معاملة "العمليات العسكرية" وهو ما ينطبق على الكثير من الغارات الأمريكية على العراق واستهدافها لمستشفى مدني في السودان بحجة أنه مختبر لصناعة الأسلحة، وإغارتها أيضا على أهداف مدنية في أفغانستان، نجد أيضا الكثير من العمليات التي تقوم بها تنظيمات مسلحة ضد عسكريين بغرض إجلائهم تعامل إعلاميا على أنها عمليات إرهابية. كقيام حماس فلسطين بأسر الجندي الإسرائيلي "جالعاد شاليت" وقيام حزب الله بأسر الجنديين الإسرائيليين جنوب لبنان والتي كانت سببا مباشرا في اندلاع الحرب الأخيرة في صيف 2006.

وخلاصة القول إن الاختلاف حول تحديد من هو الإرهابي ووصفه وتحديد معنى الإرهاب

انسحب هذا الاختلاف على تحديد مفهوم "الحرب على الإرهاب"، مادام الاختلاف قائم ومازال حول "مفهوم الإرهاب والإرهابي"، وعليه سنحاول الاقتراب من مفهوم "الحرب على الإرهاب" لإزالة الغموض واللبس المحيط بهذا المصطلح.

ثالثا: مفهوم الحرب على الإرهاب:

أول ما استخدم تعبير الحرب على الإرهاب في الأربعينيات من القرن الماضي، من قبل سلطات الانتداب البريطاني في فلسطين أثناء الحملة الواسعة التي قامت بها للقضاء على سلسلة من الضربات التي استهدفت مدنيين فلسطينيين والتي كانت تقوم بها منظمتا: "أرجون" و"شتيرن"، فقامت القوات البريطانية بحملة دعائية واسعة في الجرائد وأطلقوا عليها تسمية "الحرب على الإرهاب"، ولكن الانتشار الواسع لهذا المصطلح كان في السبعينيات وكان يطلق للتعبير عن المعارضين السياسيين لحكومات الإتحاد السوفياتي السابق وبعض الحكومات الأوربية[16].

ولكن بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 حدثت تغييرات على مفهوم الإرهابي وتم استخدام مفهوم جديد "للحرب على الإرهاب" الذي يشير إلى تلك الحملات السياسية والاقتصادية والإعلامية والعسكرية التي تقوم بها الولايات المتحدة الأمريكية تستهدف دولا وأفرادا وجماعات والتي ترى فيها تهديدا للمصالح الأمريكية خاصة بعد أحداث 11 سبتمبر 2001، ولما نحاول إعطاء مفهوم دقيق للحرب على الإرهاب سنجد أن هناك أكثر من (12) اثني عشرة اتفاقية دولية حول مكافحة الإرهاب وتمويله. والقرارات الصادرة عن الأمم المتحدة. مثلا: قرار 1999 الذي يدين الإرهاب بغض النظر عن مسبباته وذرائعه وهويته[1]. فإن المجتمع الدولي لم يتوصل بعد إلى إعطاء تعريف محدد للإرهاب، كما سبق ذكره سلفا وهذا نتيجة للموقف الأمريكي الذي ينزع حق المقاومة من الفصائل الفلسطينية ويصفها بالإرهاب. والذي يؤكد هذا الكلام، قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة في 07 نوفمبر 1987. الذي يدين الإرهاب والذي تمت المصادقة عليه بنسبة 153 صوت مقابل رفض عضوين هما إسرائيل وأمريكا، لأن القرار المذكور يحتوي على الفقرة التالية: "لا شيء في هذا القرار يمكن أن يفسر ضد الحق في تقرير المصير والحرية والاستقلال، كما نص عليها ميثاق الأمم المتحدة، أو ضد الشعب المحروم بالقوة من تلك الحقوق خاصة الشعوب الواقعة تحت النظم الاستعمارية العنصرية والاحتلال الأجنبي"[17].

وفي هذا الصدد يرى بريجنسكي أن سياسة الحرب على الإرهاب التي تبنتها الإدارة الأمريكية وأقنعت بها شعبها قد تم عرضها بطريقة مبهمة للغاية، ولم تتضح الأمور، فالإرهابيين كما يراهم

الرئيس بوش الابن هم مرتكبي أفعال شريرة وذوو دوافع شيطانية ومجهولين. كما أن وصف الإرهاب بالعدو هذا يعني أنه أغفل بأن الإرهاب أسلوب فتاك يقصد منه الترويع ويستخدم من طرف مجموعات وأفراد ودول. والمرء لا يشن حربا ضد أسلوب أو تكتيك، فلن يعلن أحد عند بدء الحرب العالمية الثانية، أن الحرب ستشن ضد "الحرب الخاطفة" [18]. ويضيف برجنسكى بأن التدخل الأمريكي في الشرق الأوسط هو السبب الرئيسي لاتجاه الإرهاب نحو أمريكا مثلما أدى التدخل الإنجليزي في ايرلندا، على سبيل المثال إلى جعل الجيش الجمهوري الايرلندي يستهدف بين الحين والآخر. لندن بل والعائلة الملكية نفسها، وقد أقر البريطانيون بتلك الحقيقة وسعوا للتعامل معها على الصعيدين العسكري والسياسي "[19].

كما أن عدم الرغبة في الاعتراف بوجود رابط تاريخي بين ظهور الإرهاب المعادي لأمريكا، والتدخل الأمريكي في الشرق الأوسط يجعل صياغة رد استراتيجي فعال على الإرهاب أصعب بكثير[20]. بمعنى أن الخبير الاستراتيجي "بريجسنكي" يرى بأن الطريقة التي تدار بها الحرب على الإرهاب ليست بالسليمة على اعتبار أن الإدارة الأمريكية تلقى باللائمة على الشرق الأوسط لكونه الفضاء الذي ينمو فيه الإرهاب والإرهابيون، في حين تغفل الإدارة الأمريكية تدخلاتها المختلفة سياسيا وعسكريا في منطقة الشرق الأوسط والتي نتج عنها تزايد نسبة العداء والكره للسياسات الأمريكية في المنطقة.

فهذه الحرب المعلنة هي حرب على مفهوم مجرد، وليست حربا كغيرها فيها حدود وجيوش ودول، فالحرب على الإرهاب تتميز باعتماد أكبر على القوات الخاصة والمخابرات والقوى الأمنية، والدبلوماسية والإعلامية، لأن الإرهاب غير معرف، فهل يمثل جغرافيا بعينها؟ أو دولة معينة أو دين أو فلسفة أو تنظيم أو جماعة، أو قد يمثل هؤلاء جميعا، وبالتالي الحرب ستكون شاملة وممتدة أو ما يصطلح عليها "بالحرب الدائمة".

ولكن الغرب عادة ما يربط الإرهاب بالجغرافيا الإسلامية متأثرا بنظرية صدام الحضارات لصامويل هنتنجتن، حتى إن الإدارة الأمريكية تحاول تقديم "الحرب على الإرهاب" كقضية للدفاع عن الحضارة والقيم الديمقراطية في المجتمعات الغربية، وتسميها "الحرب العادلة" والتي تعنى وفقا للقانون الدولي: أن الدولة تلجأ إليها دفاعا عن حقوقها ومصالحها الحيوية، والحرب غير العادلة فهي عدوانية سببها وهدفها التخريب [21].

ومن التخوفات التي طرحها بريجنسكي هو خشيته من أن تتحول "الحرب على الإرهاب"

حربا أمريكية حصرية، ومشروعا معاديا للإسلام. عندئذ تصبح كما قال: "رؤية صمويل هنتنجتن لصدام الحضارات، نبوءة ذاتية التحقق"[22].

فإذا أردنا مناقشة مصطلح "الحرب على الإرهاب" نقول بأن الحرب أولا تكون بين أطراف معلومة وظاهرة ومتناقضة في مصالحها تستخدم القوة العسكرية في ما بينها، أما الإرهاب فهو ظاهرة تتطور وتنمو في أي مجتمع كلما توفرت أسبابها ودوافعها. فالإرهاب ليس له جنسية أو أصل أو انتماء أو دين أو مذهب أو عقيدة معينة، ولكنه يظهر كلما توفرت أسبابه ودوافعه زيادة على أن الإرهابي هو طرف غير معرف كما مر معنا في التحليل السابق وليس له مواصفات متفق عليها، وبالتالي فإن الحرب على الإرهاب هي حرب ضد المجهول، أو حرب أحد أطرافها على الأقل غير معلوم.

هذا نظرا للتحولات العميقة والدراماتيكية التي طرأت على ظاهرة الإرهاب، خاصة بعد استخدام طائرات مدنية كصواريخ قاتلة فأصبح الإرهاب له أوجه كثيرة، ومميتا على نحو غير مسبوق، وخاصة مع احتمال حيازة بعض الإرهابيين لأسلحة الدمار الشامل، فالأمر لا شك سيزداد خطورة وستزداد حدة المواجهة.

ففي مؤسسة راند (Rand corporation)، تم تناول الإرهاب كعدو غير تقليدي يتطلب رؤية غير تقليدية، وإستراتيجية غير مسبوقة فأعداء اليوم (الإرهابيون)، هم أعداء ديناميكيون متنوعون منظمون، لا يمكن التنبؤ بهم، كما أنهم يتميزون بليونة (Fluent) وقدرة على التخفي، وذلك خلافا لأعداء الأمس، الذين يتصفون بالسكون، والتجانس والجمود، لذلك يرى "بريان جينكز(*)" في مقالة بعنوان "إعادة تعريف العدو، العالم تغير ولكن عقليتنا لم تتغير، أنه حان الوقت لتبني اقتراب شامل وواسع، وغير تقليدي لمواجهة الإرهاب، وعدم الركون إلى المنظور القديم للعدو."[23]

وفي نفس السياق أشار تقرير صادر عن مركز بروكينجز The brookings Instititon إلى ضرورة وجود إستراتيجية كبرى تتضمن رؤية شاملة ووعيا كاملا بعمق ظاهرة الإرهاب. إذ أن اختزال الحرب على الإرهاب في مجرد معارك عسكرية وإسقاط أنظمة يعد تهاونا بحجم العدو. هذا بالإضافة إلى شك بعض الباحثين في أن تكون العمليات العسكرية، قد حققت حتى الأهداف المنتظرة منها[24].

لقد تبنت الإدارة الأمريكية بقيادة بوش الابن في وثيقة الأمن القومي الأمريكي في سبتمبر

2002 أي بعد عام من أحداث سبتمبر 2001، إستراتيجية تعتمد على استخدام القوة العسكرية في محاربة الإرهاب وهذا ما أكدته الوثيقة في العبارات التالية: "تتمتع الولايات المتحدة الأمريكية بامتلاك قوة عسكرية لا مثيل لها، وبنفوذ اقتصادي وسياسي عظيمين ... سوف ندافع عن السلام من خلال محاربة الإرهابيين والطغاة ... لقد أصبح الإرهابيون منتظمون للتغلغل في المجتمعات المتفتحة واستغلال التكنولوجيات العصرية ضدنا ... علينا استخدام كل أداة متوفرة في ترسانتنا العسكرية، وجهود نشطة لقطع التمويل المالي عن الإرهابيين". سوف تساعد الولايات المتحدة الدول التي تحتاج إلى مساعدتنا في محاربة الإرهاب، وسوف نحاسب كل الدول التي تتورط في الإرهاب.[25]

من خلال الوثيقة اعتبرت الولايات المتحدة أنه من حقها أن تواجه الأخطار التي يتعرض لها العالم الحر ومن حقها التدخل لإحداث التغيرات في العالم، وهي التي تعرضت للهجمات المدمرة في 2001/09/11، لاسيما في البلدان العربية والإسلامية، لأن حفاظها على أمنها لم يعد يقتصر على الحدود الأمريكية، ولو تطلب الأمر استخدام القوة العسكرية من أجل فرض إرادتها على الدول التي لم تقف معها في الحرب الإرهاب وهو الذي يؤكد الشعار الذي رفعته الإدارة الأمريكية "من ليس معنا فهو ضدنا".

فالتعريف الأمريكي للإرهاب يركز على "المجموعات شبه القومية" أو العملاء السريين، الذين يستهدفون أهدافا غير محاربة، ويستثنى من ذلك الدول أو الجيوش، مثل أمريكا وإسرائيل، فهذه المجموعات شبه قومية تمارس عنفها وإرهابها ضد أهداف غير محاربة، أي ليست في حالة حرب معلنة رسميا وهذا ما يتطابق مع التعريف الإسرائيلي الرسمي للإرهاب في موقع الوكالة اليهودية قسم التثقيف اليهودي الصهيوني على الإنترنت: "الإرهاب هو عمليات القتل والتدمير الموجهة عمدا ضد المدنيين أو العسكريين في ظروف غير عسكرية".[26]

فالولايات المتحدة تكثر من الحديث عن "إرهاب الدولة" عندما يتعلق الأمر بدعم دولة ما لحركة تحرر وطني، مثل دعم بعض الدول لحركات المقاومة الفلسطينية (سوريا وإيران)، ولا تلقي بالا للدعم الذي تقدمه للحركات الإرهابية حقا التي روعت السكان ودمرت الأملاك في كوبا ونيكاراغوا ولهندوراس، وغيرها، فمثلا دعم عصابات الكونتراز الإرهابية في نيكاراغوا خلال الثمانينات التي أحرقت الحقول وقتلت معلمي المدارس وزرعت المتفجرات في الشوارع، وقامت أمريكا بتلغيم موانئ نيكاراغوا، ورفع هذا البلد الصغير قضية في محكمة العدل الدولية

لوقف هذه الممارسات، فأصدرت المحكمة عام 1986 قرارا يدين الممارسات الإرهابية الأمريكية في نيكاراغوا بالاسم ويدعو واشنطن لدفع تعويضات معتبرة، في حين لم تلق الولايات المتحدة الأمريكية بالا للقرار، وفي العام نفسه، استخدمت أمريكا حق النقض في مجلس الأمن ضد مشروع قرار يدعو جميع الدول للالتزام بالقانون الدولي، وكان ذلك طبعا قبل انهيار الاتحاد السوفياتي واختلال ميزان القوى العالمي [27].

ولكن تم استخدام سياسة "الحرب على الإرهاب" من طرف الإدارة الأمريكية كبوصلة تقيس عليها أمريكا علاقتها الدولية، خاصة بعد ضربات 11 سبتمبر 2001 التي اعتمدتها كذريعة من أجل تحقيق ما يلي: [28]

1) توسعة النفوذ الأمريكي دوليا تحت وطأة تهديد الدول والجماعات والأشخاص الداعمين للإرهاب.

2) إعطاء الولايات المتحدة ذريعة جاهزة للتدخل في كل مكان، على مختلف الأصعدة وبأية طريقة تراها مناسبة لمصالحها.

3) محاولة القضاء على أي صوت يحاول ممانعة السياسة الأمريكية، والتأكيد على أن أمريكا تفعل ما تريد، والعالم يجب أن يفهم هذا جيدا، وهذا ما أشارت إليه مجلة الغارديان في عددها 2001/03/30، صفحة 210 تحت عنوان:"صفقة قذرة": "قام الرئيس بوش بعرض مصداقية الولايات المتحدة الأمريكية على المحك، حين قال: نحن نفعل ما نريد وإذا لم يرق لكم ذلك، فلكم أن تنطحوا الجدار" وقد قال هذا الكلام على خليفة رفض معاهدة كيوتو (Kyoto)، الخاصة بالاحتباس الحراري من طرف الولايات المتحدة [29].

الخاتمة

وفي الختام نؤكد على أن مصطلح "الإرهاب" قد وظّف بطرق غير صحيحة، وأنه لم تتعرض ظاهرة للضغط المعرفي والإشكاليات مثلما تعرضت له ظاهرة الإرهاب. من حيث اختلاف الدلالات والمفاهيم والعبارات التي توصف الظاهرة، والذي فتح الباب واسعا أمام السياسيين لاستخدام المصطلح بأشكال تختلف عن تصور الباحث المتخصص؛ مما أدى إلى مأزق على مستوى البناء المعرفي، بحيث أصبح المفهوم السائد غير قادر على تفسير حالات اجتماعية راهنة، كما أصبح غير قادر على التكيف مع التحولات السياسية والأمنية والاجتماعية الراهنة فضلا عن تقديم حلول معرفية للمشكلات ذات الصلة.

الهوامش:

(1) بسام العسلي، السياسية الإستراتيجية الأمريكية ومستجداتها، مجلة خالد العسكرية متحصل عليه من: www.kkmay.gov.sa.

(*) كلاوزفيتز: كاتب عسكري ألماني.

(2) ناظم عبد الواحد الجاسور، موسوعة علم السياسة، عمان: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ط1، 2004، ص ص، 161، 162.

(3) أحمد أبو الروس، الإرهاب والتطرف والعنف الدولي، الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، ط1، 2001، ص 24.

(4) عبد الناصر حريز، الإرهاب السياسي دراسة تحليلية، بيروت: مكتبة مدبولي، ط1، 1996، ص 24.

(5) المرجع نفسه، ص 21.

(6)http://www.unode .org/unod/Terrorisme_definition.html.

(7)http://www.Isn.ethz.ch/NEWS/SWdetails.cfm?id=13667 أ

(8) وزارة الدفاع الأمريكية، مكتب رئاسة الأركان، نشر مشترك، قاموس التعبيرات العسكرية والمصطلحات الملحقة، أنظر http://www.dicc.mil/dicc/doctrine/le/New pubr/Ip102.PDF

(9) مكتب مكافحة الإرهاب، وجوه الإرهاب في العالم، منشورات وزارة الخارجية الأمريكية
أنظر:http://www.State.gov/documents/Organisation/20177 PDF

(10) قسم مكافحة الإرهاب وتقييم التهديدات والتحذيرات، أنظر:
http://www.FBI.gov/publication/terror/terror.99/Pdf.

(11) باسكال بونيفاس، الحرب العالمية الرابعة، ترجمة أحمد الشيخ، القاهرة: المركز العربي للدراسات الغربية، ط1، 2006، ص 104.

(12)المرجع نفسه، ص 105.

(13) انظر تعريف الإرهاب .http://www.ar.wikipedia.org/wiki11

(14)http://www.Amthrapoetics.vcle.edu/ap0801/terror.htm#16nd

(15) انظر http://www.time.com/time.archive/ ،

(16) إبراهيم علوش، " ماذا تعني الحرب على الإرهاب" متحصل عليه من:
http://www.freearabvoice.org/arabia/majalat/mathata3neeA17arab3alla. ،

(17) المرجع نفسه.

(18) بريجنسكي زبيغنيو، الإختيار: السيطرة أم القيادة، ترجمة عمر الأيوبي، بيروت: دار الكتاب العربي، ط1، 2004، ص35.

(19) المرجع نفسه، ص 42.

(20) المرجع نفسه، ص 43.

(21) ناظم عبد الواحد الجاسور، مرجع سابق، ص 165.

(22) بريجنسكي زبيغنيو، مرجع سابق، ص 45.

(*) باحث في مؤسسة راند (RAND CORPORATION)

(23) صلاح الرشيدي، حرب الإرهاب، البحث عن رؤية أمريكية جديدة، متحصل عليه من آخر تحديث http://www.Islamonline.Net.fille.//F:\19.htm. 14/05/2007

(24) المرجع نفسه.

(25) ماجد كيالي، التحول في إستراتيجية السياسية الأمريكية، من احتلال العراق إلى دعوات التغيير في المنطقة، مجلة شؤون عربية، (العدد، 114، صيف 2003)، ص 29.

(26) arab3alla http://www.freearabvoice.org/arabi/maqalat/Mathata3neeA17 AIERHAB/htm.

(27) إبراهيم علوش، ماذا نعني الحرب على الإرهاب، متحصل عليه من arab3alla http://www.freearabvoice.org/arabi/maqalat/Mathata3neeA17 AIERHAB/htm.

آخر تحديث 05 أفريل 2007.

(28) المرجع نفسه.

(29) كلايد ير ستوفتز، الدولة المرقة، الدفع الأحادي في السياسة الخارجية الأمريكية، ترجمة: فاضل جنكر، لبنان: ب م ن، ط1، 2003، ص10.

Epistemological underpinnings of the concept of war on terror

D. ABDELADHIM Ben sghir*

Abstract:

The concept of the war on terrorism has been used in ways that are incorrect. Any phenomenon have not been subject to pressure cognitive, research dilemmas and empirical problems as it has happened in the phenomenon of terrorism in terms of the different semantic, concepts and terms that describe the phenomenon. This is what has led politicians and leaders by using the term forms differ from the perception of a specialist in the framework of cognitive models prevailing. The incorrect use of the concept of terrorism has led to an impasse on the construction of cognitive level. The incorrect use of the concept of terrorism has led to an impasse on the construction of cognitive level so that perception became unable to interpret current social situations, or it is unable to adapt to the specific political, security and social transformations, or that the concept does not offer solutions to epistemological problems associated with the phenomenon.

Keywords: terrorism - war - knowledge - politics.

* Maître de conférence (A) – Faculté de droit et des sciences politiques - Université de Biskra - Algérie.